العلوم الإنسانية بحث في إشكالية المصطلح

humans Sciences research in the problem of the term

د. خيرة بورنان، جامعة مُحَمَّد بوضياف ـ المسيلة/ الجزائر

[1] kheira.bourenane@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2020/03/07 تاريخ القبول: 2020/05/09 تاريخ النشر: 2020/12/30

الملخص:

إنّ أوَّل ما يمكن ملاحظته عند الاقتراب من العلوم الإنسانية، لتحديد موضوعها أو منهجها، هو الاختلاف الذي يشكل أرضية هذه العلوم، ويهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على إشكالية التسمية أو المصطلح المناسب للدراسات الإنسانية، لقد اختلف الباحثون في توحيد إطلاق اسم موحد على كل المعارف المرتبطة بالإنسان والمجتمع، فأصبحنا أمام ظاهرة تعدد المصطلحات في المرجعيات الغربية لهذا النّوع من الدراسات. فهناك من ارتأى استخدام مصطلح العلوم الاجتماعية (المدرسة الأنكلوساكسونية)، كمقابل للعلوم الإنسانية (المدرسة الفرنسية)، وهناك من استخدم مصطلح علوم الروح (المدرسة الألمانية)، وآثر تيار آخر مصطلح العلوم السلوكية(المدرسة الأمريكية).

كلمات مفتاحية: العلوم الإنسانية، المصطلح، جان بياجيه، ميشيل فوكو، علوم الروح.

Abstract:

The first thing that one can notice when approaching the human sciences, to define their subject or their approach, is the difference which forms the basis of these sciences, and this article aims to shed light on the problem of naming or the appropriate term for human studies. Linked to people and to society, we are therefore confronted with the phenomenon of multiple terms in Western references for this type of study. There are those who have decided to use the term social sciences (the Anglo-Saxon school), as opposed to the humanities (the French school), and there are those who have used the term Geistswissenschaften. (the German school), and another trend favored the term behavioral science (the American school).

Keywords:

humans Sciences, the term, Jean Piaget, Michel Foucault. Geistswissenschaften

[1] **المؤلف المرسل: الإيميل: د. خيرة بورنان**،kheira.bourenane@univ-msila.dz

مقدمة:

إذا كان مبحث الإنسان مبحث الفلسفة الأثير والسؤال: ما هو الانسان؟ السؤال الأعقد في الفلسفة، والخطاب الفلسفي هو في نظر الكثيرين الحاضنة الأساسية لمبحث الأنسان في صورتيه الميتافيزيقية، والعلمية، أي العلوم الإنسانية. وإذا كان الاجماع ينعقد على أهمية العلوم التي تتناول دراسة الإنسان، فردا أو جماعة، في مختلف جوانبه الثقافية، وأبعاده(النفسية، الاجتماعية، التاريخية... إلخ)، فإن الاختلاف هو ما يميز هذه الدراسات، ومن ذلك المصطلح المناسب لهذا النوع من الدراسات؛ ولا يستطيع المرء بالطبع طلب الدقة العلمية البالغة عند التطرق الى المفاهيم المتعلقة بالعلوم الانسانية، الا اذا كان فلسفيا مؤمنا تماما بالنظرة الوضعية التي لا تعنى سوى بالظواهر والوقائع دون أي تفكير تجريدي وجميع مفاهيم العلوم الانسانية حسب العبارة قابلة للجدل أكثر من غيرها. فهناك من ارتأى استخدام مصطلح العلوم الاجتماعية، كمقابل للعلوم الإنسانية، وهناك من استخدم مصطلح علوم الروح، وآثر تيار آخر مصطلح العلوم السلوكية. وهذا ما يجعلنا نقول أنه بالرغم من أن موضوع الدراسة واحد ألا وهو الإنسان، لكن العلوم المختصة في دراسته متعددة الاصطلاحات.

ولأنه لا مشاحة في الاصطلاح كما يقول علماء اللغة، فإننا من خلال هذه المقال الموسوم بـ" **العلوم الإنسانية إشكالية المصطلح**"، سنقف عند أهم المصطلحات التي تم اجتراحها لدراسة الإنسان، من خلال التطرق ـ إن يصح التعبير ـ إلى مختلف المدارس الفكرية، ومن بينها: المدرسة الأنكلوساكسونية، المدرسة الفرنسية، المدرسة الجرمانية، المدرسة الأمريكية.

أولا: المدرسة الأنكلوساكسونية

لقد فضل الأنكلوساكسون استخدام مصطلح العلوم الاجتماعية (social sciences)، تمييزا لها عن مصطلح الإنسانيات Humanities الذي يدل على الآداب والفنون والمسائل المعيارية والقيمية، واتجاهات تفسير النصوص، وكلّها مسائل مفارقة للعلم ولا ينبغي أن تختلط به. وساعدهم في هذا وجود اشتقاق آخر هو Sociological الذي يدل فقط على ما ينتمي لعلم الاجتماع بالذات. وفي نظرهم العلوم الاجتماعية ظهرت بخصوصياتها المتميزة قبل ظهور مصطلح العلوم الإنسانية الذي جاء متأخراً. فقد كانت العلوم الإنسانية تشمل كلًّا من علم النفس وعلم الاجتماع، وكانت العلوم الاجتماعية تتميز عنها وتشمل علوم القانون والسياسة والاقتصاد، وهي من اختصاصات كليات الحقوق.

والعلوم الاجتماعية، وفقا لما تورده بعض المعاجم المختصة هي: مجموعة الدراسات التي تستخدم المنهج العلمي في دراسة مظاهر النشاط المختلفة، التي تصدر عن الإنسان كفرد أو كجماعة أو كمجتمع، وهي بهذا تضم مجموعة فروع علم الاجتماع والأنتروبولوجيا وفروع علم النفس(أي علم سلوك الفرد) والاقتصاد وبعض فروع دراسات اللغة والتاريخ والقانون. (أحمد، 1982، صفحة 368)

وتعرف الموسوعة البريطانية العلوم الاجتماعية بأنها، تلك العلوم التي تدرس بالسلوك الإنساني في جوانبه الاجتماعية والثقافية، وأنها تشمل التخصصات التالية: الأنتروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، الاجتماع، علم النفس الاجتماعي، علم السياسة، الاقتصاد، الجغرافيا الاقتصادية والاجتماعية، مجلات التربية ذات الصلة بالتعلم والمدرسة (بدر، 2001، صفحة 69).

ومن المفكرين الذين ميزوا بوضوح بين العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية عالم النفس الأمريكي جيروم كيغانJerome Kagan (1929 ـ ؟) في كتابه الثقافات الثلاث؛ فمن خلال قائمة بيانية أسماها(مقارنة الثقافات الثلاث من خلال تسعة نطاقات)، فالعلوم الاجتماعية تتمثل في: علم النفس وعلم الاجتماع، وعلم الأنتربولوجيا، علم اللغة، علم السياسة وعلم الاقتصاد، أما العلوم الإنسانية فهي كما يزعم تضم الفلسفة والتاريخ والنقد الأدبي والجمالي والدراسات النسوية وعلم الأخلاق والدراسات الثقافية (بدر، 2001، صفحة 64). وهكذا يبدو أن العلوم الاجتماعية تختلف من حيث نطاقها عن العلوم الإنسانية.

ثانيا: المدرسة الفرنسية

العلوم الإنسانية (Sciences humaines)، هو المصطلح الشائع الاستخدام في المجال التداولي الفرنسي، وقد تم استخدامه في القرن العشرين بعد ترجمة أحد كتب الفيلسوف الألماني دلتاي حول علوم الروح(Geisteswissenschaften)، سنة 1942 تحت عنوان: المدخل إلى العلوم الإنسانية (Introduction aux sciences humaines). وبحسب لالاند مصطلح العلوم الإنسانية تعبير حديث يدل على ما كان متّفقا من قبل على تسميته " العلوم الاخلاقية"حيث يقصد بالأخلاقي العقلي مقابل المادي، وهذه العلوم على كثرتها تنقسم عادة من الناحية المنهجية إلى ثلاثة أقسام كبرى رئيسية: علم النفس، علم الاجتماع، علم التاريخ (موي، 1981، صفحة 82).

وإذا كانت المدرسة الأنكلوساكسونية تقيم تمييزا بين العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية فالبعض من الفلاسفة الفرنسيين، ومن بينهم كلود ليفي ستروس، جان بياجيه، ميشيل فوكو لم يكونوا معنيين بهذا التمييز:

أ/ كلود ليفي ستروس

لا يفرق رائد الأنتربولوجيا البنيوية كلود ليفي ستروس(1908 ـ 2007) بين العلوم الإنسانية (Sciences humaines) والعلوم الاجتماعية (sciences sociales) بل يرى « أنّ عبارة العلوم الاجتماعية ذاتها تنطوي على حشو؛ لأن إعلانها على أنها اجتماعية يستدعي أنّها تهتم بالإنسان ومن المسلم به أنّها اجتماعية آليا لأنّها مادامت إنسانية أولا» (غراويتز، 1993، صفحة 114). على الرغم من هذا التحديد المصطلحي فإنّ العلوم المتصلة بالظواهر الإنسانية ظلت موسومة بالخلط والتداخل، مما يصعّب تحديدها وتصنيفها إلى حد التعذر، وهذا ما دفع ليفي ستروس إلى اقتراح معايير للتمييز بين العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، صاغها على النحو الآتي:

– إذا كانت العلوم تُعنى بالظواهر التي تنشأ من الحياة الجماعية للإنسان كالاقتصاد، والقانون والسياسة فهي علوم اجتماعية، أما إذا كانت العلوم تتناول ما يعتبر ظواهر فردية تنبثق من سلوك الأشخاص كأشخاص، فهي علوم إنسانية مثل الظواهر التي يبحثها علم النفس، في الغالب والفلسفة (ستراوس، 1990، صفحة 277).

– لتجاوز هذا الارتباك والخلط يتابع ليفي ستروس اقتراحه حين يصنف كل فعاليات الإنسان، التي هي موضوع البحث العلمي في العلوم الإنسانية إلى ثلاثة أصناف: صنف الآداب الفنون ـ صنف العلوم الاجتماعية ـ وصنف العلوم الإنسانية.

– ويمضي في توضيح اقتراحه أكثر، فيرى أن العلوم الاجتماعية تُعنى بالدراسات التي تهتم بالمؤسسات والنظم الاجتماعية القائمة في الوسط الاجتماعي بالذات، مع ما يترتب على هذا الاهتمام من عناية بتكوين الأطر والفعاليات البشرية للقيام بنشاط مهني معين كالقضاء، والمحاماة والإدارة مع الأخذ بعين الاعتبار الجانب العلمي التطبيقي الممكن للنظريات في حياة المجتمع، كما في الاقتصاد السياسي. أما العلوم الإنسانية فتضع نشاطها في إطار عام وواسع؛ أي خارج أي مجتمع مخصوص، لأنها تسعى لتحصيل معرفة عامة وشاملة، لا تخصّ فرداً بالذات ولا مجتمعاً بالذات مثلما هو الشأن في علوم اللغة، أو الفلسفة، أو علم المناهج والمنطق (ستراوس، 1990، صفحة 280،281).

وفي سياق أبحاثه في مجال الأنتربولوجيا البنيوية يذهب ستروس إلى تصنيف العلوم إلى: علوم تتعلق بالوقائع الخبرية، كالتاريخ والأثنوجرافيا وإلى علوم ذات نماذج. وإذ تعتمد العلوم الأولى على جمع وتنظيم الوثائق فإن العلوم الأخيرة تدرس في المقابل نماذج تبنى انطلاقا وبواسطة تلك الوثائق. وينعكس هذا الفرق

المنهجي على مستوى النتائج فتنتهي الأثنولوجيا والأثنوجرافيا إلى نماذج ميكانيكية في وقت ينتهي التاريخ إلى نماذج احصائية. وهكذا يضبط ستروس العلاقة بين علوم الأثنوغرافيا والإثنولوجيا والاجتماع والتاريخ من خلال المقابلة بين اعتمادها الملاحظة الخبرية أو للنماذج من جهة، وبين الطابع الميكانيكي والإحصائي لهذه النماذج من جهة أخرى. وهي المقابلة التي يعرضها ليفي ستروس على النحو الآتي (ستراوس، الأنتربولوجيا البنيوية، صفحة 336):

	تاريخ	علم اجتماع	أثنوجرافيا	إثنولوجيا
ملاحظة تجريبية/ بناء النماذج	+	−	+	−
نماذج آلية/ نماذج إحصائية	−	−	+	+

بـ/ جان بياجيه:

يقر جان بياجيه (1896 ـ 1980) بوجود اختلاف جوهري بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، في نظره أن أي تباين في الطبيعة «لا يسمح بالتمييز بين ما يدعى في كثير من الأحيان، بالعلوم الاجتماعية، والعلوم الإنسانية، ذلك أن الظواهر الاجتماعية تتوقف على صفات الإنسان، كلها بما في ذلك العمليات السيكو- فيزيائية، وبالمقابل فإنّ العلوم الإنسانية هي اجتماعية بكل مظهر من مظاهرها» (PIAGET, 1970, p. 16). وبالرغم من ذلك فقد فضل إطلاق مصطلح "علوم الإنسان" Sciences de l'homme ـ وهو عنوان أشهر مؤلفاته، ويتعلق الأمر بكتابه Epistémologie des sciences de l'homme(1970) ـ على الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وقد برر ذلك بما يثيره مصطلح العلوم الإنسانية من التأويلات المتعلقة بالقيم والأخلاق.

وفي إطار رؤيته لتصنيف العلوم رفض بياجيه ما تقدم من تصنيفات في هذا المجال سواء تلك التي تعود إلى القدامى في الفكر الفلسفي، أو المحدثون لأنّها في نظره لا تعكس بصورة موضوعية المعرفة العلمية، ويَرجعُ ذلك إلى طابعها الستاتيكي (السكوني). والتصنيفات السكونية عنده نوعان أولها؛ يقوم على أساس تصنيف ملكات الإنسان، كما هو الشأن عند أرسطو وبيكون(ملكة الذاكرة يقابلها علم التاريخ ويقابل ملكة المخيلة الشعر، أما ملكة العقل فيقابلها مبحث الفلسفة). وثانيها؛ ما يكون وفقا لخط مستقيم، وهو تصنيف أوغست كونت والذي بناه على أساس تقسيم العلوم إلى بسيطة وأخرى مركبة. وفي ضوء هذا

رتب العلوم تصاعديا حسب درجة تركيبها إلى: الرياضيات ـ الفلك ـ الفيزياء ـ الكيمياء ـ البيولوجيا ـ علم الاجتماع.

وبالرغم من أنَّ تصنيف كونت هو أكثر التصنيفات دقة وضوحا من التصنيفات السابقة عليه، إلاّ أنّ بياجيه أخذ عليه مآخذا؛ كتجاهله لبعض العلوم الإنسانية كعلم النَّفس وعلم المنطق؛ قصور ملاحظته عن وجود علاقات متبادلة بين العلوم (وقيدي، 1983، صفحة 48)، هذا ما سيعمل بياجيه على إبرازه من خلال تصنيفه. في مقابل التصور السكوني للعلوم، قدم بياجيه تصنيفا يعكس علاقات التأثير المتبادلة بين العلوم المختلفة. وهو تصنيف ينتهي في الأخير لأن يكون على شكل دائرة، وأكد بأنَّه سيبقى « أكثر من أي وقت مضى على نموذج التصنيف الدائري للعلوم لا الخطي لها» (PIAGET, 1970, p. 12)، لأنَّه يكشف عن وجود علاقات متبادلة بين علوم هذا المجال، وعلوم المجالات الأخرى فالعلوم النفسية والاجتماعية تستفيد من العلوم الرياضية في الوقت الذي يمكن أن تفيد فيه تلك العلوم. و وفقا لهذا التصور قسم هذه العلوم إلى أربع مجموعات: العلوم الإنسانية العلوم التاريخية، العلوم الحقوقية، العلوم(المباحث) الفلسفية.

ومن المشاكل التي تثيرها العلوم الإنسانية من حيث هي بحث علمي ما يتعلق بالتحديد المضبوط لما يمكن اعتباره علما إنسانيا، فليست كل معرفة يتعلق موضوعها بالإنسان علما إنسانيا، ولا يمكن أن تعتبر بحسب بياجيه إلاَّ أنماط المعرفة التي يكون هدفها البحث عن القوانين المتعلقة بالظواهر التي تكون موضوعا لهذا البحث. وعملا بهذا المعيار، واستنادا إلى الشروط التي جعلت كل علم من العلوم الإنسانية علما قائما بذاته وهي على وجه الخصوص؛ التحديد الدقيق لموضوع البحث وإتباع مناهج نوعية لمعالجة ذلك الموضوع صنف بياجيه العلوم الإنسانية أو ما يسميها بالعلوم الناموسية «**science nomothétiques**» إلى: العلوم المنطقية الرياضية والعلوم الفيزيائية والعلوم البيولوجية والعلوم النفسية ــ الاجتماعية ومنها الألسنية وعلم الاقتصاد (PIAGET, 1970, p. 17.19).

ومقابل اعترافه بهذه العلوم أقصى بياجيه ـ وعملا بالمبدأ و الشرط نفسه ـ البعض من الدراسات في مجال العلوم الإنسانية، كالتاريخ والقانون، لأنَّه لا يمكن اعتبار أي واحد منهما في ذاته علما نظريا. كما رفض أن تكون الفلسفة علما من العلوم الإنسانية، وذلك بالنّظر إلى طبيعة موضوعها ومنهجها والاختلاف بين الفلاسفة والذي يشكل أرضيتها (PIAGET, 1970, p. 26).

ج/ ميشيل فوكو:

إن موقف ميشيل فوكو (1926 ـ 1984) بخصوص ظهور العلوم الإنسانية يتعارض مع ما قدمه تاريخ الأفكار، إذ ينفي فكرة التراكم عن العلوم الإنسانية؛ فمجالها الإبستمولوجي لم يعرف التقادم ومسيرتها لم تكن استمرارا. ولهذا يقرر أن ظهور العلوم الإنسانية هو حدث في نسق المعرفة، وأن الإنسان ليس أقدم إشكالية طرحت ذاتها على المعرفة الإنسانية، فهو اختراع حديث فيها، لا يتجاوز عمره مئتي سنة.

وضمن محاولته تصنيف العلوم، اقترح فوكو تصنيفا مؤسسا على مجال المعرفة العام والمتعدد الأبعاد؛ فحقل الإبستمية الحديثة عند فوكو من الاتساع والتنوع ما يجعل إمكانية اختزاله في بعد واحد يتجاهل طبيعة هذا الإبستمي، الذي شهد أهم حدث، وهو ظهور الإنسان كمعطى للتفكير العلمي(العلوم الإنسانية) ومع هذا الظهور اتخذ المجال الإبستمولوجي للمعارف ثلاثة أبعاد بدل بعد واحد: علوم البعد الأول تشكلها العلوم الرياضية و الفيزيائية. أما علوم الحياة والاقتصاد واللغة، فتشكل علوم البعد الثاني. وتتعلق علوم البعد الثالث بالفلسفة (فوكو، 1990، صفحة 285). و الشكل أسفله (مثلث المعارف) Le Trièdre des Savoirs تمثيل لهذه الأبعاد (مهيبل، 2010، صفحة 95).

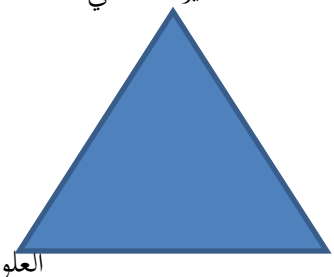

واستنادا إلى مثلث المعارف، يبدو أن العلوم الإنسانية لا تقع داخل هذه العلوم ولا تدخل في نطاقها، فهي بلا موقع على أي بعد من أبعاده أو مسطحاته لكنّها موجودة ضمنه، إذ تجد مكانها في الفجوات الموجودة في تلك المعارف، وهذا ما يجعلها على صلة مع مختلف الأبعاد (فوكو، 1990، صفحة 285). يكون فوكو من خلال هذا التصنيف قد تجاوز الإبستمولوجيا القائمة على تصور مسار متجانس للعلوم يستوعبها على نحو خطي، و في نسق مُوَحداً فضاءات المعرفة مختزلاً أبعادها في بعد واحد، و من ذلك إبستمولوجيا أوجست كونت.

وميدان العلوم الإنسانية عند فوكو تغطيه ثلاثة قطاعات معرفية تنقسم جميعها داخل ذاتها و تتصالب فيما بينها، وتحدد الصلة الثلاثية القائمة بينها وبين علوم البعد الثاني. وهذه القطاعات هي: السيكولوجيا السوسيولوجيا، علم الآداب، والأساطير. أما علم النفس فيعتمد على النّموذج البيولوجي إذ يدرس كل ما هو امتداد للوظائف البيولوجية، وما يؤدي إلى قيام تمثل لدى الإنسان. ويعتمد علم الاجتماع على علم الاقتصاد، لأن موضوعه الإنسان الذي ينتج ويستهلك ويقيم علاقات مع أفراد المجتمع الذي يعيش فيه. وعن السوسيولوجيا يتفرع علم التاريخ. وعلم الآداب والأساطير، يدرس كل المظاهر الشفوية والوثائق الكتابية، ويجد نموذجه في علم اللغة (فوكو، 1990، صفحة 289،291).

وتجدر الإشارة إلى أن فوكو لم يدرج أثيراته الثلاث(اللسانيات البنيوية، التحليل النفسي الأثنولوجيا) في قائمة العلوم الإنسانية إلاَّ أنّه لم يستبعدها من دائرة معارف القرن التاسع عشر. ومرد ذلك أن هذه المعارف لا تتخذ من الوعي والتمثيل موضوعا لها، فهي لا تتصل بإبستيمي عصر النهضة ولا بإبستمي العصر الكلاسيكي ، بل هي إيذان بقرب ظهور إبستيمي جديد يتجاوز الإنسان إلى النَّسق. هذه العلوم و يسميها فوكو بالعلوم المضادة للعلوم الإنسانية. هي ما سيشكل دائرة البنيوية.

ثالثا: المدرسة الجرمانية

غير بعيد عن الثقافة الأوروبية آثرت المدرسة الألمانية، وهي ذات توجه واضح ومخالف لغيرها من المدارس في حقل الدراسات الإنسانية، نحت مصطلحا آخرا منذ زمن الهرمينوطيقي والكانطي المحدث مؤرخ الأفكار الألماني فيلهلم دلتاي(1833-1911) ، يتعلق الأمر بما أسموه بـ«العلوم العقلية» أو «علوم الروح» (Geistswissenschaften) تمييزا لها عن علوم الطبيعة، من جهة وعلى أساس أنّ الإنسان وحده يتميز بالروح (Geist) من جهة أخرى. ودخل هذا المصطلح المجال المعرفي الألماني كترجمة للمصطلح الانجليزي (علم الأخلاق) الذي نحته جون ستيوارت مل J.S.Mills ، ليدل به على تلك العلوم التي نمت نموا كبيرا في القرن التاسع عشر وتمايزت من مجموعة العلوم الطبيعية. هذا يعني أن دراسة الإنسان تختلف عن دراسة الطبيعة (NaturWissenschaften) (ريكمان، 1979، صفحة 107). وهو ما أدركه دلتاي الذي عرف العلوم الروحُية بأنها « مجموع الدراسات التَّي موضوعها هو حقيقة التاريخ والمجتمع» (ريكمان، 1979، صفحة 105). وقد سعى جاهدا لتأصيل علوم الروح وتخليصها من تبعيتها المنهجية للعلوم الطبيعية، من خلال جعل الهيرمينوطيقا منهجا لها.

وكانت نقطة البدء لديه هي البحث عن الأصل الراسخ الذي من خلاله يمكن لقضايا العلوم الإنسانية أن تشكل حقلا علميا مشروعا. وبالفعل وجد هذا الأصل الراسخ والمحك الأساسي في التَّعرف على بنية الظواهر الإنسانية، ورؤية المشاكل الكبرى في الحياة والفكر، في التاريخ، فهو المدخل الأساسي لفهم علوم الروح أو العلوم التاريخية كما يسميها أحيانا. لكن لم التاريخ بالذات وليس علما آخر كعلم النفس مثلا؟ الجواب بلسان دلتاي هو أن « ليس من خلال الاستبطان بل من خلال التاريخ وحده يتأتى لنا فهم أنفسنا» (عادل، 2007، صفحة 119). ونحن نفهم فهما تاريخيا لأنّ الإنسان كائن تاريخي في جوهره وحتّى علاقات الفرد بغيره هي علاقات تاريخية، فعالم الإنسان إذن هو عالم التاريخ وعالم الأفكار.

رابعا: المدرسة الأمريكية

هي مدرسة حديثة جدا مقارنة بالمدارس السابقة، إذ استخدمت منذ الخمسينيات مصطلح العلوم السلوكية(Behaviorism sciences)، ليشمل معظم العلوم الاجتماعية، بالإضافة إلى الأنتربولوجيا الطبيعية وعلم النفس الفيسيولوجي لارتباطهما بالسلوك الإنساني (بدر، 2001، صفحة 69). ويمكن تمييز العلوم السلوكية انطلاقا من موضوعها ومنهجها وهدفها:

أما موضوعها فهو السلوك الإنساني كائنا ما كانت طبيعة هذا السلوك. و يندرج تحت مسمى هذه العلوم كل من الأنتربولوجيا، على اعتبار أنّها علم طبائع البشر، وعلم النفس الذي يدرس السلوك الإنساني فرديا كان أو جماعيا، وعلم الاجتماع الذي يختص بدراسة النظم والظواهر والعلاقات الاجتماعية من حيث أنها تتجلى في صور سلوك جماعي في مجتمع ما. وكذلك التربية التي تدرس طبيعة السلوك الإنساني من حيث تقويمه وتطوره وضبطه.

أما من جهة المنهج، فإنّها تعتمد في دراسة السلوك الإنساني على المنطق العلمي وأساليب البحث المنهجية، مما يؤدي إلى تحديد الظواهر السلوكية ووضع الفروض، واختبارها عن طريق إجراء التجارب، كالتجارب المخبرية و أساليب المقارنة، قصد التوصل إلى حقائق ومفاهيم تفسر السلوك تفسيرا علميا. ومن أمثلة ذلك علم النفس الحيواني وفيه يتم دراسة سلوك الحيوان بالطريقة العلمية لا باعتبار هذه الدراسة غاية في حد ذاتها، وإنّما قصد مقارنة نتائجها في فهم مظاهر سلوك الإنسان على أساس السلوك الفطري الذي يجمع الإنسان والحيوان (زكي ، 1989، صفحة 8).

أما الهدف منها فهو فهم، ودراسة سلوك الإنسان فهما صحيحا ودراسة شاملة لكل مظاهر، وأبعاد وأطر السلوك الإنساني دون الاقتصار على جانب دون الآخر، أي بعيدا عن الإطار المنعزل الذي

يطبع العلوم الإنسانية (زكي ، 1989، صفحة 13،9). ولن يتأتى ذلك إلا من خلال تحقيق عملية التكامل في مصادر المعرفة.

5- الكتابات العربية والمفاضلة بين مصطلحين

إن الكتابات العربية، التي تناولت الموضوع من جهة دراسته بشكل عام، أو دراسته بشكل خاص، كدراسة قضية محددة مثل؛ الموضوعية في العلوم الإنسانية أو الأيديولوجيا... فقد تعددت هي الأخرى، ولعل هذا الانقسام يعود إلى التكوين العلمي الأكاديمي لكل واحد منهم، إذ نجد البعض منهم ـ من منظور فرنكفوني ـ استعمل مصطلح العلوم الإنسانية، والبعض الآخر ـ من منظور أنكلوساكسوني ـ استعمل مصطلح العلوم الاجتماعية. ورغم هذا فهؤلاء المفكرون يعترفون بأنه لا توجد اختلافات بين المجالين الإنساني والاجتماعي وإن وجدت فهي عرضية وليست جوهرية. ومن هؤلاء ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ نتعرض للآراء التالية :

بالنسبة إلى صلاح قنصوه صاحب كتاب" الموضوعية في العلوم الإنسانية" استحسن الأخذ بمصطلح العلوم الإنسانية لمبررات كثيرة، ففضلا عن ذيوعه وانتشاره فأنّه يَفضُلُ التسميات الأخرى، فهو يتسع لكل العلوم التي تبحث في الإنسان كعلم النفس والتاريخ إذا ما ذهب البعض إلى استبعادهما من ((العلوم الاجتماعية))، كما أنّه يصلح مظلة مشتركة تضم تحتها، أو تفرض الحوار بين جوانب النزاع التقليدي في فلسفة)علم بين أصحاب النزعة الطبيعية وأنصار النزعة الإنسانية. فهنا يكون في وسعنا أن نناقش وجهات النظر على قدم المساواة (قنصوه، 1983، صفحة 5).

وفي كتابها(مشكلة العلوم الإنسانية: تقنينها وإمكانية حلها)، ترى يمنى طريف الخولي، ضرورة استخدام مصطلح العلوم الإنسانية، رفعا لكل لبس نتج من خلط عن الترجمة الحرفية لاصطلاح SCIENCES SOCIAL للدلالة تارة على مجمل العلوم الإنسانية وتارة على علم الاجتماع (يمنى، 1996، صفحة 9). وفي نظرها، مصطلح «العلوم الإنسانية» يشير إلى الدراسات التي تستهدف الإحاطة المنهجية الوصفية والتفسيرية بالظواهر الإنسانية، كعلوم الاجتماع والاقتصاد والنفس والأنثروبولوجيا والجغرافيا ... إلخ بفروعها العديدة. ولا يَنْطَبِق على الدراسات الإنسانية الأخرى المعيارية والتنظيمية من قبيل فقه اللغة والقانون، والشريعة، والنقد الأدبي، وأنظمة المحاسبة والإدارة ... إلخ؛ أي أنها تَخْرج عن مجال بحْثنا وعن مجال فلسفة العلوم التجريبية.

الخاتمة:

إن أهم ما نخلص إليه من خلال هذه المداخلة المقتضبة، أن استخدام أي من المصطلحات (العلوم إنسانية، العلوم الاجتماعية، علوم الروح، العلوم السلوكية) لا ينقص من قيمة هذه العلوم ولا يجعلها علوما من الدرجة الثانية، خاصة وأن توجها واضحا لدى الدول المتقدمة في إطار تطوير التعليم الجامعي هو الانفتاح على الدراسات الإنسانية والاجتماعية على التخصصات العلمية والتكنولوجية والعكس صحيح. وذلك عن طريق ادخالها ضمن مقررات الأقسام العلمية نفسها، وهذا خلافا لما كان سائدا في النظام التعليمي التقليدي الذي كان يفصل فصلا حادا بين المجالين (العلوم الإنسانية/ الاجتماعية والعلوم الطبيعية)، مكرسا لما سماه الروائي وعالم الفيزياء الإنكليزي تشارلز بيرسي سنو/ Charles Percy Snow (1905ـ 1980) بظاهرة الثقافتين.

لقد بات من الضروري الانطلاق من قاعدة تكامل العلوم ومعارفها، في إطار العبر ـ منهاجية والعلوم العابرة للتخصصات. والخطر كل الخطر من خلق تراتبية داخل هذه العلوم، تنتهي إلى تفضيل بعضها عن البعض الآخر، كما هي الحال في الجامعة الجزائرية.

المراجع:

1) أحمد بدر: مقدمة في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، 2001.
2) أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ـ لبنان، 1982.
3) بول موي: المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة، فؤاد زكريا، دار العروبة، الكويت،1981.
4) زكي محمد اسماعيل: بين العلوم الاجتماعية والسلوكية، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية ـ مصر، 1989.
5) صلاح قنصوه، الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983.
6) عمر مهيبل: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 2010.
7) عادل مصطفى: فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط1، 2007.
8) كلود ليفي ستراوس: الإناسة البنائية، ترجمة، حسن قبيسي، مركز الإنماء القومي، بيروت ـ لبنان، 1990
9) كلود ليفي ستروس: الأنتروبولوجيا البنيوية، ج1، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق ـ سوريا، 1977.
10) مادلين غراويتز: مناهج العلوم الاجتماعية ، ترجمة سام عمر، المركز العربي للترجمة والنشر، دمشق ـ سوريا ط1، 1993.
11) محمد وقيدي: العلوم الإنسانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط1، 1983.
12) ميشيل فوكو: الكلمات والأشياء، مركز الإنماء القومي، بيروت ـ لبنان، 1990.

13) هـ. ريكمان: منهج جديد للدراسات الإنسانية محاولة فلسفية، ترجمة علي عبد المعطي و مُحَمَّد علي مُحَمَّد مكتبة مكاوي، بيروت . لبنان، ط1، 1979

14) يمنى طريف الخولي: مشكلة العلوم الإنسانية (تقنينها وإمكانية حلها)، دار الثقافة، ط2، 1996.

15) Jean Piaget: Epistémologie de la science de l'homme, Edition , Gallimard, Paris, 1970.